سورة الشعراء

obeikandl.com

﴿سورة الشعراء﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿طسٓمٓ ۝١﴾

من الحروف العاليات، وهى من جملة تراكيب صيغ دائرة الإحاطة للاسم الأعظم الكبير تلقيناها عن العارف الكبير سيدى صلاح الدين التجانى الحسنى ﷺ برؤيا مناميه رأيت فيها كأنى واقف على منبر لخطبة الجمعة وبجوارى رجل وهو يقول لى: لن تستطيع الخطبة بدون طاقية، سأذهب لأبحث لك عن طاقية فأتى وقال لى: لم أجد لك طاقية وكلما ذهب ليجمع لى طاقية لم يجد لى طاقية حتى قال لى: خذ طاقيتى فألبسنيها فابتدأت خطبة الجمعة وحمدت الله وأثنيت عليه ولما جاء ذكره الشريف ﷺ أخذنى حال البكاء، وفى اليوم التالى ذهبت إليه فى زاويته بإمبابة فوجدته قد جهز لى إجازة شاملة بالخلافة وبصيغ كثيرة للإسم الأعظم ودائرة الإحاطة فأجازنى بها بدون طلب منى .

وأعطانى صيغة للاسم قلما ذكرتها أحسست بحبات سبحتى الحبة الواحدة منها مثل الجبل وأنا أسحبها ــ أى حبات السبحة ــ بغاية الصعوبة ــ حتى صممت على إكمال الذكر وإتمام سحب حبات السبحة، حتى رجعت إلى طبيعتى الأولى، فرضى الله تعالى عن ذلك السيد العملاق .

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

أى مهلك نفسك، كيف يراك شخص ولا يهتدى ويؤمن بك،

فتخرجه من دائرة الظلمات إلى دائرة النور. فإنه ﷺ من شدة تجلى الحق سبحانه على ذاته بالإسمين الرؤوف والرحيم كان يريد أن لا يراه أى شخص إلا ويؤمن به، ويحزنه إفلات أى شخص منه، ولا ينظر صاحب هذا الوسع الرحموتى إلى قدر الله فى الأعيان.

﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ۝ ﴾

ولكن هذا لا نريده، أى هداية الكل، بل فريق فى الجنة وفريق فى السعير.

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝ ﴾

ومعنى محدث أى مختص بإحداثه للحدث لا محدث فى عينه، وهو ما استجد من الوحى المتنزل من الحضرة العلوية، لا كما قال المعتزلة بأنه محدث فى عينه، وبنوا عليه كلامهم بأن القرآن مخلوق، فإنهم أخطأوا ولم يصيبوا لكونهم فسروا القرآن خطأً، ولم يضعوه فى ذوقه العلوى الشهودى ، وكيف يلحقوا سامحهم الله الحدث بالمُحْدِث، وكيف يلوثوا جنبات الربوبية بما يشوبها من أيدى التلف والحدثان، وما قالوا مقولتهم تلك إلا لغلظ حجابهم وتمكن المادة من عقولهم وعدم خروجهم من طور الحس إلى اللاحس، فقاسوا اللا محسوس بأدوات الحس، وبسبب هذه العلة جعلت المجسمة الحق سبحانه جسماً قاعداً على عرشه، وذلك عند تأويلهم لقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾.

واعلم أيدك الله أننا لو حملنا الربوبية معانى البشرية والمادية

لخرجت الربوبية عن دائرة التفرد والاختصاص والتنزه، لما يلحقها من تلوث الأوهام والعقول والقياس القاصر المريض الذى يحدده العقل البشرى المحدود.

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

وسبب عداوة العارف للأغيار المتشبهة بالربوبية هو غيرته أن يشارك الحق أحد فى الألوهية، فيتخذهم أعداء له، والعارف يمثل الربوبية فى تلك الغيرة، فإنه ما خرج إلا من حضرة الربوبية، فتقول تلك الحضرة للعارف: اخرج وتكلم بلسانى، فمن رآك فقد رآنى ومن عصاك فقد عصانى، ولذلك عدد العارف فى تلك الحضرة النعم الموجبة للألوهية فقال:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾

أى لأجل هذه الموجبات كنت عبداً لمولاى، ورفضت أن أكون عبداً لغيره.

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا ﴿٨٣﴾ ﴾

أى تصريفاً وجودياً أتحرك به بين الأعيان لأقضى به حاجاتهم وأرفع به الخطوب والمحن عنهم، فأكون به نائباً عنك ثم قال وهذه ليست هى الغاية بل الغاية هى.

﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

أى إلحاقاً ديوانياً نيابياً، لأكون من بين من ناب عنك من إخوانى السابقين من الأنبياء.

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾

أى لا تنفع الحجب المادية المانعة من الوصول إلى حضرة الله عز وجل، وإنما ينفع العبد خلو قلبه من العلل والأوهام الظلمانية.

فإذا تعلق العبد بغير الله، وأضاع الهمة فيما لا يوصله إلى الحضرة العلوية فى أوهام المادة الرذيلة فقد سقط من عين الله وتحول نظر الله عنه.

واعلم أن معنى سلامة القلب خلوه من العيوب المائلة له بقاذورات المادة وإضاعة العمر فى الظلام القلبى والحجاب عن حضرة الله، قال الله تعالي: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾.

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

وذلك لكون المادة عدوة الأنبياء، فلا يبيعون حضرة ربهم بها، وعندما أغراه الماديون لكى يبيع حضرة ربه بها قال: ((**والله يا عمى لو وضعوا الشمس عن يمينى والقمر عن شمالى على أن أترك هذا الدين ما تركته**))، ولما خير ﷺ بين النبوة ومعها المادة المحسوسة

وبين النبوة والتنازل عن تلك المادة المحسوسة اختار النبوة بغير تلك المادة المحسوسة أى مقام العبودية الصرف، وإنما لم تشتغل أرواح الأنبياء بالعالم المحسوس لتحققهم بفنائه وزواله، وعلمهم بأنه عالم أقيم فى عالم التمثيل لأجل الاختبار، وليس بالعالم الباقى المتيقن ببقائه كالعالم الباقى الأخروى، فإن العالم العلوى هو مستقر الأرواح الصالحة كأرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والعلماء، فهناك تسرح الأرواح، وتهدأ بعد مشقتها فى علم الفناء وترتاح، وتشرب بأعذب الأقداح، وتقام لها الأفراح.

﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

لكونهم أرباب الحضرة، ونواب الله فى الأرض، أقصد الفقراء ــ المستضعفين من المؤمنين ــ فكيف يطردهم وهم زينة القلادة، وعقلاء السادة، والذين تحصل بهم الإفادة، ويتربعون على العمادة، وهم أرباب الريادة.

﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

للحق سبحانه أن يجرب الأعيان بما تراه تافهاً فى أعينها، وعلى هذا جرت سنته فى الأرض، فلا يرون الأنبياء ومن تبعهم سوى مستضعفين فى الأرض أذلاء حتى قالوا لشعيب عليه السلام: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ وقالوا لنوح عليه السلام: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ

ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ فالناقة هى أداة الامتحان الإلهى للبشر، وأهل الحجاب لا يرون لها توقيراً ومبلغ العلم عندهم أنها حيوان أعجم، ولكن الإرادة العلوية اقتضت الاختبار بها، وإلى هذا لمحت الحقيقة المحمدية فقالت: ((**رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**))، وقيل لمحمد ﷺ:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾

فالصورة المستضعفة التى لا يأبه لها أهل الحجاب هى العزيزة عند حضرة الحق عز وجل، ومن هنا تعلمنا أنه لا يجوز للسالك أن يحتقر التافه فى الأعيان، بل يرى الوجود كله مفيداً، ولم يخلق الحق سبحانه تافها قط، بل ربما كان التافه هو العزيز، وربما كان العزيز هو التافه فافهم.

﴿ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ ﴾

لكى لا يختل نظام الكون، وينهار القانون الإلهى، فإن الحق سبحانه ارتضى ناموساً معيناً للوجود، وهذا الناموس إذا لعبت فيه يد الأعيان بالفساد والتغيير اختل نظام الكون وهذا ما قالته الملائكة للحق عز وجل: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾.

ومن أجل تجنب هذا الاختلال حرم الحق سبحانه كل ما يفسد نظام الأعيان:

كتحريم الخمر.

كتحريم الزنا .

وتحريم القتل .

وتحريم الشرك .

وتحريم اللعب فى الكيل الميزان .

ولذلك وصفت حضرة الخلق ما تغير وخرج عن الفطرة الإلهية بأن خبيث، قال تعالي: ﴿ الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾

ثم وصف ﷺ الرجل الذى آمن ثم ارتد ثم آمن ثم ارتد بأن الأرض لا تقبله، فهذه صفة من فسدت حيلته، رفضته الأعيان بلسان الأرض، فدفن فيها فلفظته ولم تراه صالحاً لان يدفن فى بطنها .

ولذلك لما مر ﷺ على ديار ثمود نهى أصحابه أن يدخلوا عليهم إلا باكين ومعتبرين ونهاهم أن يشربوا من مائهم وأن لا ترعى البهائم من كلأهم .

أقول وهذا لخبث جبلتهم وحلول اللعنة فيهم .

واعلم أن الميزان الإلهى هو التقدير الإلهى المختص بالأعيان الذى قدر منذ الأزل، فلا تخرج عنه ذرة مما قدر لها إلا بقدر الله عز وجل وعن هذا يقول سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ثم يقول لموسى عليه السلام ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾

ثم حذرنا الحق سبحانه من الطغيان فى الميزان الكونى فقال: ﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾

فهذا الطاغى فى الميزان هو المحارب للتقدير الإلهي، الذى لا يرضى بما قدره الله فى الخلق، فلا يفوض لله ما خلق من الأمر، ولذلك كان أعظم الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره وشره، وأن تنزل

الأقدار فى مواطنها، ثم تريد للأعيان أن تكون كما أراد الله لها أن تكون، فلا تخرجها عن عين ما كتب لها فافهم، ومن هذه اللطيفة قال سيد الخلق لمسيلمة الكذاب: ((**اخسأ إنك لن تعدو قدرك**)).

أقول: وهذا لا يعنى ضآلة القدرة بل أنه سبحانه يمتلك خزائن الأشياء المطلقة، ولكن تنزل هذه الأعيان بقدر لا يعنى عجز القدرة عن الإطلاق، فهو سبحانه يعلم ما يفسد الإنسان وما يصلحه، والإنسان دائماً ينظر إلى الألوهية من زاوية عقله الضيقة، ويريد أن يحدد المطلق، ولا ينزه المطلق، فينظر إلى من ليس كمثله شئ بعين مريضة عاجزة لا تستطيع إن تستكشف ما تحت القدم من كنوز الأرض، فكيف تستطيع هذه الآلة العاجزة أن تحيط علماً بالربوبية وهى لا تستطيع أن تعرف سر النفس فيها ؟ وصدق النبى الكريم ﷺ عندما قال: ((**تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله**)).

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

اعلم أيدك الله أن كلام الله القديم الصرف لا تستطيع المخلوقات سماعه ما خلا الأنبياء، وأفضلهم فى ذلك محمد وموسى عليهما السلام فإنهما وقفا فى موقف المواجهة فى الكلام، وغيرهما لم يقف

وأما أصحاب الكتب والصحف من المرسلين والأنبياء ما خلا محمد وموسى، فإنهم أخذوا الكلام من الروح الأمين، وكانوا هم أول الوجوه التى تلقته بالوسائط عن الحضرة القدسية العلوية، واعلم أن الكلام الصرف القديم أفضل من سمعه هم أهل المواجهة من الرسل عليهم السلام كمحمد وموسى عليهما السلام، فإنهم سمعوه من رب العزة عز

وجل، ثم طبقة تتلوهم وهى التى سمعته من فم الملك الناقل وهو الروح القدس.

ثم لما رأى الحق سبحانه هياكل من عداهم من غيرهم كالأولياء والعوام لا تتحمل سماعه فى هذين الموقفين، تلطف بهم وخففه لكى يسمعونه بالتناقل ويقرأونه فى المصاحف والكتب، ولكنه سماع مخفف بخلاف سماع المواجهة وبخلاف سماعه من الروح القدس فافهم.

obeikandl.com